

قراءة في سيرة الشيخ خليل بن هارون الجزائري (ت 826 هـ)

من خلال كتابه "تذكرة الأعداد ليوم المعاد"

**A reading in Sheikh Khalil bin Harun Al-Jaza'ri's Biography
(d. 826 AH) from his Book "Tadhkirat Al-A'dad Li Yaum Al-Ma'ad"**

د. إسماعيل زيان*

¹ باحث (الجزائر)، ziane_ismail2005@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/03/14

تاريخ القبول: 2023/12/11

تاريخ الاستلام: 2023/01/28

ملخص:

مازالت الترجمة لعلماء الجزائر مشروعا طويلا، يستلزم البحث في المصادر المطبوعة بصفة عامة والمصادر المخطوطة التي لم تحقق بعد بصفة خاصة، حيث إنّ تلك المصادر التي ما تزال حبيسة المكتبات والخزائن تحوي كمّا هائلا من المادة العلمية التي تؤرخ للحياة الثقافية لكلّ عالم، وتبرز مدى النشاط العلمي الذي قام به علماء الجزائر داخلها وخارجها. ولأجل هذا تأتي هذه المقالة لتبرز جانبا من سيرة الشيخ خليل بن هارون الصنهاجي الجزائري (ت 826هـ)، نزيل مكّة، وذلك من خلال قراءة للمصادر التي ترجمت له، ومن خلال ما وثقه في كتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد» الذي ذكر فيه بعضا من أخباره وأخبار والده وشيوخه.

كلمات مفتاحية: خليل بن هارون الجزائري، تذكرة الأعداد ليوم المعاد، تاريخ مكّة، القرن التاسع الهجري، الحجاز.

Abstract:

The biographies of the Algerian Scholars is still a long-term project, which requires research in printed sources in general and manuscript sources that haven't yet been achieved in particular, as those sources that are still imprisoned in libraries contain a huge amount of scientific material that chronicles the cultural life of each scholar and highlights the extent of

scientific activity carried out by Algerian scholars inside and outside. And for this reason, this article comes to highlight an aspect of Sheikh Khalil bin Harun Al-Sunhaji Al-Jaza'ri' (D. 826 AH), a resident of Mecca, through a reading of the sources that were writing for him, and through what he documented in his book "Tadhkirat Al-A'dad Li Yaum Al-Ma'ad" in which he mentioned some of his news and this father's news.

Keywords: Khalil bin Harun Al-Jaza'ri; Tadhkirat Al-A'dad Li Yaum Al-Ma'ad; History of Mecca; Century 9 hijri; Hedjaz.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

كان المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين موطناً لمنشأ لعدة علماء ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية عن طريق التدريس والتأليف، وقد ساعدت حركة المدّ والجزر بين الدول الثلاث: المرينية والزيرية والحفصية، إلى ظهور عدة حواضر علمية، حيث كانت تلمسان حاضرة الجهة الغربية، فظهر فيها جمع كبير من العلماء أشرف على رعايتهم بعض سلاطين الدولة الزيرية مثل أبي حمو موسى الثاني، حيث كانت له عناية بالأدب والشعر، وعُقدت في وقته المجالس العلمية وشيّدت المدارس التعليمية، وأدّى ذلك إلى ظهور البيوتات العلمية والمكتبات الخاصة لبعض العائلات مثل بيت العقباني، وبيت ابن مرزوق، وبيت المقرئ، وغيرهم¹.

أمّا في الجهة الشرقية، كانت بجاية وقسنطينة عاصمتين كبيرتين تداران من طرف الدولة الحفصية، وقد سادت فيهما عدة مدارس علمية، فكانتا ملاذاً ومقصداً للعلماء وطلبة العلم، وتخرّج منها علماء كبار كالشيخ محمد بن عمر الهواري والشيخ عبد الرحمن الثعالبي².

وقد ساهمت كتب التراجم في ذكر سير أولئك العلماء ورحلاتهم العلمية، وتميّزت بالطول تارة وبالقصر تارة أخرى، لكن مع كلّ الجهد الذي بُذل في جمع أخبار العلماء وسيرهم، إلّا أنّ كتب التراجم

¹ _ عبد الكريم حسانين، 2015، ص 122.

² _ فوزية لزعم، 2017م، ص 135.

كانت تغفل ذكر بعض العلماء أو تختصر الترجمة لهم بسبب ندرة المصادر أو كثرة أسفار المترجم لهم وانقطاعهم عن بلدانهم، فيغض الطرف عن جانب كبير من حياتهم، خاصة في بلد المولد والنشأة.

ولعلّ هذا ما حدث مع الشيخ خليل بن هارون الجزائري الصنهاجي الذي كان نتاجا للحركة العلمية في المغرب الأوسط نهاية القرن الثامن الهجري، حيث أغفلته كتب التراجم المغاربية ومن أجلها كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي، وسبب ذلك هو ارتحال الشيخ خليل بن هارون إلى المشرق ونزوله بمكة وانقطاعه عن الجزائر، وهذا ما جعله مذكورا في كتب التراجم في المشرق ككتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي المكي المعاصر له، وكتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» لشمس الدين السخاوي، وكتاب «الدر الكمين بذيّل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لعمر ابن فهد المكي، وغيرها من الكتب.

ولهذا تأتي هذه الورقة لتبرز جانبا من سيرة الشيخ خليل بن هارون الجزائري، وذلك من خلال الموازنة بين ما ذكره المترجمون له من أخبار، وبين ما ذكره هو بنفسه في كتابه المخطوط «تذكرة الأعداد ليوم المعاد»، وذلك من خلال دراسة المخطوط دراسة وصفية، ثم بدراسة موضوع الكتاب والأخبار التي ضمّنها فيه، ولذلك لزم وضع عدّة إشكالات من شأنها إبراز شيء من سيرة الشيخ خليل بن هارون ومنها:

- من هو الشيخ خليل بن هارون؟
- كيف كانت نشأته بالجزائر؟
- كيف كانت رحلاته العلمية؟ ومن هم شيوخه؟
- كيف كانت حياته في مكة؟
- ما هي آثاره العلمية؟ وما هي القيمة العلمية لكتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد»؟

2. الشيخ خليل بن هارون:

1.2 اسمه ونسبه ونشأته:

هو خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى بن محمد¹، الصنهاجي²، غرس الدين³، أبو الصفا⁴، وأبو الخير⁵.

كانت نشأة الشيخ خليل بن هارون على ما يبدو بمدينة الجزائر، حيث أخذ العلم عن علمائها ومن جملتهم والده الشيخ هارون بن مهدي الذي كان معلماً للقرآن، وقد ذكر الشيخ خليل بعض الأخبار عنه في كتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد» حيث قال: «وكان سيدي والدي هارون بن مهدي الصنهاجي رحمه الله تعالى يختم في كل ليلة ختمه، وتارة أكثر من ذلك، ويعلم القرآن بالنهار نحو خمسين سنة أو أكثر، ومولده عام ستة وسبعماية، وعاش نحو ثمانية وسبعين سنة، وكان رحمه الله كثير الصيام والقراءة، وتوفي رحمه الله بمدينة الجزائر من بلاد المغرب، دفن بباب الواد، بمقبرة سيدي الشريف علي بن سعيد»⁶. ويبدو أنّ والد الشيخ خليل بن هارون كان من العباد، وذلك ما ذكره الشيخ خليل عنه بقوله: «وكان والدي سيدي هارون بن مهدي رحمه الله، ببلد الجزائر من المغرب، يختم القرآن كل ليلة في الصلاة، وإذا فرغ من ورده قال بصوت عال: بعظمة وتعظيم وخشية سبحان من يمحّ ولا يُمحّ عليه التسبيح إلى آخره»⁷.

¹ اسمه الكامل كما ذكر السخاوي، أما ابن حجر وابن فهد فقد قالوا إنه "خليل بن هارون بن عبد الله"، لكنّ الصحيح ما ذكره السخاوي وهو موافق لما ذكره الشيخ خليل بنفسه حيث قال إنّ والده هو هارون بن مهدي (ينظر: السخاوي، بدون تاريخ، 205/3، وابن حجر، 1994م، 109/3، وابن فهد، 2000م، 722/2).

² السخاوي، نفسه، 205/3.

³ ابن فهد، نفسه، 722/2.

⁴ المرجع نفسه، 722/2.

⁵ السخاوي، نفسه، 205/3، ابن حجر، نفسه، 109/3، ابن فهد، نفسه، 722/2.

⁶ خليل بن هارون، 856هـ، ق 102/ب.

⁷ المرجع نفسه، ق 125/ظ.

ويبدو أنّ جانب تصوّف قد غلب على الشيخ خليل بن هارون بسبب ما شهدته القرنان الثامن والتاسع من انتشار للحركة الصوفية بسبب الدولة الموحدية، وبسبب عناية سلاطين الدولة الزيانية بالمتصوفة حيث بالغ أولئك السلاطين في الاهتمام بهم¹، وهذا ما نلاحظه في كتابه الآتية دراسته حيث يذكر أنّه كان يأخذ بعض الوصايا من شيوخه بالمغرب، ثمّ ذكر أحدهم وهو الشيخ مفلح بن ثابت، حيث قال عنه: «وأوصاني الشيخ الصالح الوليّ العارف، مفلح بن ثابت بن هلال بن سعدون بن أبي جميل المغربي من بلاد المغرب، وكانت له رضي الله عنه كرامات ظاهرة»².

2.2 رحلات الشيخ خليل بن هارون:

بتتبع الشيوخ المشاركة الذين أخذ عنهم الشيخ خليل بن هارون، نجد أنّ جميعهم توفّي في نهاية العقد الأخير من القرن الثامن وبداية القرن التاسع، لذا فمن المرجّح أنّ الشيخ خليل قد خرج من الجزائر بعد وفاة والده مباشرة، أي بعد سنة 784هـ، حيث كانت البداية:

في تونس:

ارتحل الشيخ خليل بن هارون إلى تونس، فأخذ على جمع من علمائها وفي مقدّمتهم الشيخ ابن عرفة الورغمي³، وكان يحبّه ويكره أن يُتكلّم فيه، ومن ذلك ما ذكره صاحبه تقي الدين الفاسي حيث قال إنّ الشيخ خليلًا وجد مكتوبا للشيخ الوانوعي يذمّ فيه الشيخ ابن عرفة، فسوّد ذلك الدّم، وقال له إنّ لم يستطع أن يرى ذمّا في ابن عرفة لجلالة قدره⁴، وقد ذكر الشيخ خليل بن هارون شيخه ابن عرفة عدّة مرّات في كتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد»، حيث عرض بعض شعره، وذكر عبادته وقال فيها: «كان العالم سيدي أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله يصوم الدهر نحو خمسين سنة، ويقوم الليل أكثر من ذلك، ويحتم كلّ ليلة، وله ختم كثير في ركعة، رحمه الله ونفع به في الدارين، وفي نهاره يعلم القرآن وفنون العلم، وله

¹ _ فوزية لزعم، نفسه، ص 140.

² _ المرجع نفسه، ق 149/ظ.

_ السخاوي، نفسه، 3/ 206.

⁴ _ تقي الدين الفاسي، 1998م، 2/ 29.

مناقب كثيرة، رحمه الله ونفعنا به في الدارين»¹، وذكر الشيخ خليل بن هارون أيضا أنه التقى برجلين من أصحاب الشيخ ابن عرفة، ونقل منهما عنه بعض الأبيات التي تتحدث عن التوحيد والتفكير في الفناء وترك الراحة².

هذا وقد ذكر الشيخ خليل بن هارون أنه التقى بأحد صلحاء إفريقية -أي تونس- وهو الشيخ عبد الرحمن أبو النور بن عبد النور من أهل إفريقية، وأخبره أنه وقف على دعاء لأبي الحسن الشاذلي³.
في الديار المصرية:

أما في الديار المصرية، فقد التقى بالسراج البلقيني (ت 805هـ)، وبالإسكندرية التقى بالشيخ عبد الله بن أبي بكر الدماميني (ت 794هـ)، والشيخ محمد بن يوسف بن أحمد السلاار⁴.
رحلته إلى بيت المقدس:

يبدو أن الشيخ خليل بن هارون قد انتقل إلى بيت المقدس قبل سنة 788هـ، وهي السنة التي توفي شيخه محمد بن أحمد القرمي، حيث ذكر أنه سمع منه وأخذ عنه بعض العلوم، وأخذ أيضا على بعض الشيوخ، وسمع منهم بعض الفوائد، منهم الشيخ عبد الخالق، والشيخ أبي الخير بن العلائي (ت 802هـ)، والشيخ علي بن محمد بن أحمد البعلي، وإبراهيم ومحمد ابني إسماعيل القلقشندي⁵.
وقد كان في بيت المقدس آنذاك شيوخ مغاربة كثر اعتقاد الناس في ولايتهم، منهم الشيخ محمد بن عبد الله البسكري⁶ والشيخ خليفة المغربي⁷، وقد حفظ عنهم الشيخ خليل بن هارون بعض الأدعية وذلك

¹ _ خليل بن هارون، نفسه، ق 102/ب.

² _ المرجع نفسه، ق 39/ب.

³ _ المرجع نفسه، ق 162/ب.

_ السخاوي، نفسه، 205/3-206.

_ المرجع نفسه، 205/3.

⁶ _ هو عبد الله بن إبراهيم البسكري، المغربي، المالكي، نزيل بيت المقدس وشيخ دار القرآن المدرسة السلامية به كان يدرس الناس فيها على قاعدة إبراهيم الأموي الصوفي، وكان للناس اعتقاد كبير فيه. توفي سنة 829هـ (ينظر: المرجع نفسه، 4/5).

بقوله: «وجدتُ مكتوباً بخطّ الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله البسكري أو هو بخطّ الشيخ الصالح خليفة المغربي العربي المقيمين ببيت المقدس، حفظهم الله ونفع بهم ورحمهم، ما نصّه: قل يا حي يا قيوم ألفاً ثقيك من جميع الآفات»¹، وذكر أنّه اجتمع ببعض أهل عجلون من أصحاب الشيخ محمد البلالي، فذكروا له بعضاً من أدعيته التي كان يذكرها².

انتقاله إلى مكة واستقراره بها:

لمّا دخل الشيخ خليل بن هارون إلى مكة، بدأ القراءة على علمائها، منهم الشيخ إبراهيم بن محمد ابن صديق (ت 806هـ)، والشيخ محمد ابن أبي المراغي (ت 819هـ)، والقاضي علي النويري (ت 799هـ)، والشريف عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي (ت 805هـ)، وأبي اليمن الطبري (ت 809هـ)، والشيخ جمال الدين ابن ظهيرة (ت 817هـ)، وغيرهم، وبالمدينة على الشيخ إبراهيم بن فرحون (ت 799هـ)، وسليمان السقا (802هـ).

وقد تزوّج الشيخ خليل بن هارون من السيّدة زينب بنت عبد الله بن أسعد اليافعي، المعروفة بأُمّ المساكين، وكانت من علامات مكة آنذاك، حيث أجاز لها ابن أميلة والصلاح ابن أبي عمر، وابن السوقي، وابن النجم، وابن الهبل، وابن قاضي الزبداني، وأبو البقاء السبكي، وابن القاري، وغيرهم، وقد خرّج لها الشيخ عمر بن محمد ابن فهد أحاديث عشاريات حدّثت بها وبمشايخها، وخرّج لها أيضاً مشيختها³.

وكانت زينب متزوّجة قبل الشيخ خليل بن هارون بالشيخ موسى المراكشي، فولدت له الشيخ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي⁴، ولمّا توفّي عنها تزوّجها خادمه يعقوب الجاناني⁵، فولدت الشيخ جمال

⁷—هو خليفة بن مسعود بن موسى، المغربي، الجابري، المالكي، نزيل بيت المقدس، معروف باسم خليفة. وُلّي مشيخة المغاربة وصارت له وجاهة وجمالة وتزايد اعتقاد الناس فيه وذكروه بالصلاح والتعبّد والفضل. توفّي سنة 833هـ (ينظر: المرجع نفسه، 187/3).

¹—خليل بن هارون، نفسه، ق 156/ظ.

²—المرجع نفسه، ق 156/ظ.

³—ابن فهد، نفسه، 1443/2.

⁴—تقي الدين الفاسي، نفسه، 408/2.

⁵—ابن فهد، نفسه، 1443/2.

الدين محمد بن يعقوب الجاناقي¹، والشيخ عبد الرحمن بن يعقوب²، ولما توفي عنها زوجها³، تزوجها الشيخ خليل ورثي أبناءها، فانتفعوا به في علوم اللغة العربية وغيرها، وقد مات الشيخان محمد بن موسى ومحمد بن يعقوب في حياته في نفس السنة (سنة 823هـ)، ولم تلد زينب للشيخ خليل بن هارون، ولما مات تأممت بعده⁴.

ولا شك أنّ تلك الزيجة تعبّر عن المكانة العلمية التي حظي بها الشيخ خليل بن هارون في مكّة والتي خوّلتها من التزوّج بينت الشيخ عبد الله الياضي التي كانت مقصد الطلبة بمكة في ذلك الوقت من أجل أخذ الإجازة منها.

وفي أثناء نزول الشيخ خليل بن هارون بمكّة، كان يتردّد على الرباطات الموقوفة بها، ومنها رباط الموقف الذي أوقفه جمال الدين علي بن عبد الوهاب الإسكندري، على فقراء العرب الغرباء ذوي الحاجات المتجردين سنة 604هـ⁵، ويقول الشيخ خليل بن هارون إنّّه كتب رسالة برباط الموقف يوم الاثنين لخمس بقين من شهر المحرم سنة 817هـ⁶.

وفاته:

ذكر السخاوي أنّ الشيخ خليل بن هارون توفي يوم في الثامن من رمضان سنة 826هـ، بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع وقد قارب الستين سنة⁷.

¹ _تقي الدين الفاسي، نفسه، 432/2.

² _السخاوي، نفسه، 159/4.

³ _ابن فهد، نفسه، 1443/2.

⁴ _المرجع نفسه، 1443/2.

⁵ _تقي الدين الفاسي، 2000م، 436/1.

⁶ _خليل بن هارون، نفسه، ق 62/ظ.

⁷ _السخاوي، نفسه، 206/3.

آثاره:

ترك الشيخ خليل بن هارون بعض الآثار منها كتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد»، وهو الكتاب المدرس في هذه المقالة، وكتاباً التقط فيه ما في الكتب من الأحاديث القدسية، وقد وضع له ربيبه الشيخ الجمال محمد بن موسى فهرستا لبعض مسموعاته، لكنه لم يكتمل¹.

وقد نسب له البغدادي في كتابه «إيضاح المكنون» رسالة بعنوان «أشرف مسموع في تحقيق أبحاث الموضوع»²، إلا أنّ نسبة هذا الكتاب له غير صحيحة، فالرسالة للشيخ خليل بن أحمد المغربي، وتوجد منها عدّة نسخ، منها نسختان بدار الكتب المصرية ضمن مجموعتين تحت رقم: 34، ورقم 283³.

إضافة إلى هذا، فقد كان الشيخ خليل ينظم بعض الأبيات، منها ما ذكرها صاحبه تقي الدين الفاسي، حيث قال إنه أخذ من الشيخ خليل بن هارون بعض الأبيات له من خطّه في عاشوراء من سنة 823هـ وفيها⁴:

صُمِّ صَلِّ صَلِّ أَصْلَحَ تَصَدَّقْ وَاكْتَحِلْ وَسَّعْ عُدِّ امْسَحْ زُرْ تَعَلَّمْ وَاعْتَسِلْ
قُلْ سُورَةُ الْإِحْلَاصِ أَلْفًا يَوْمَ عَا شُورَاءَ يَرْحَمُكَ إِلَهُ فَتَنْتَصِلْ

مكانة الشيخ خليل بن هارون العلمية:

لا شكّ أنّ الشيخ خليل بن هارون كان من العلماء الذين كانت لهم قدم راسخة في العلم بمكة، ويتضح ذلك من زواجه من زينب بنت الشيخ أسعد اليافعي إحدى محدّثات مكة، وقد أثنى العلماء على الشيخ خليل بن هارون وفي مقدّمهم ابن حجر العسقلاني الذي قال إنّ سمع من الشيخ فوائده، وإنّ رجلاً كان يشتغل بالعلم وقراءة الحديث⁵، أمّا الشيخ ابن فهد الهاشمي فقال إنّ الإمام العلامة وليّ الله⁶.

1_ السخاوي، نفسه، 206/3.

2_ إسماعيل البغدادي، 87/3.

3_ عبد الستار الحلوجي، 2011م، 187/1-188.

4_ تقي الدين الفاسي، 1998م، 394/2.

5_ ابن حجر، نفسه، 109/3.

6_ ابن فهد، نفسه، 722/2.

ويبدو أنَّ الشيخ خليل بن هارون كان متمرساً في النحو، حيث ذكر في كتب التراجم أنَّ بعضهم أخذ عليه علوم اللغة العربية منهم ربيباه جمال الدين محمد بن موسى المراكشي¹، وجمال الدين محمد بن يعقوب الجاناني²، ومنهم الشيخ محمد بن عبد القوي البجائي الأصل المكي³، وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن عثمان بن أيوب اللؤلؤي لما حجَّ سنة 824هـ⁴، ولما حجَّ الشيخ ابن مرزوق الحفيد سنة 790هـ، مكث هناك وأخذ عنه، وكتب له الشيخ خليل بن هارون خطَّة سنة 792هـ⁵.

حكاياته الموثقة في الكتب:

كان الشيخ خليل بن هارون كثير الذكر لبعض قصص الزهاد في عصره، حيث كان يذكر -فيما يظن- كراماتهم، وكان يروي قصصهم على أساس أهم من أولياء الله الصالحين، ويؤكد ذلك ما ذكره السخاوي، حيث قال إنه لقي «جمعاً من العلماء والصلحاء، فحفظ عنهم وعمّن لقيه بالديار المصرية والشامية والحجازية أخباراً حسنة من حكايات الصالحين»⁶.

ويبدو أنَّ مدرسة التصوّف والزهد كانت غالبية على حياة الشيخ خليل بن هارون وكتابات، مثل كتابه «تذكرة الإعداد ليوم المعاد»، وسأوردُ في هذا الموضع بعض القصص التي رواها، والتي نقلها بعض العلماء في كتبه، فأقول:

نقل ابن حجر عند ترجمته للشيخ إبراهيم بن محمد المعروف بابن زقاعة قصةً للشيخ خليل بن هارون سمعها من الشيخ محمد القرمي ببيت المقدس، وفيها: «قرأتُ بخطَّ صاحبنا خليل بن محمد المحدث: سمعتُ صاحبنا خليل بن هارون الجزائري يقول: سمعتُ الشيخ محمداً القرمي ببيت المقدس يقول: كنتُ

¹ -تقي الدين القاسي، نفسه، 408/2.

² -المرجع نفسه، 432/2.

³ -ابن فهد، نفسه، 166/1.

⁴ -السخاوي، نفسه، 141/8.

⁵ -ابن القاضي المكناسي، 1971م، 257/1.

⁶ -السخاوي، نفسه، 205/3.

يوماً في خلوة، فسألت الله تعالى أن يعث لي قميصاً على يد وليّ من أوليائه، فإذا بالشيخ إبراهيم ومعه قميص، فقال: أعطوا هذا القميص للشيخ، وانصرف من ساعته»¹.

وذكر الشيخ تقي الدين الفاسي أنه سمع من الشيخ خليل بن هارون قصة عن الشيخ ابن الفخار الجزائري، وفيها: «أخبرني صاحبنا الشيخ خليل بن هارون الجزائري نزيل مكة غير مرة، عن شخص يقال له الحسن المريني، أثنى عليه الشيخ خليل، ووصفه بصلاحٍ وخيرٍ، أنّ الشيخ أبا عبد الله بن الفخار هذا، كان إذا لقيه قال: ما لي أراك مخروطاً؟ قال المريني: فقلت في نفسي: كأنّه يكاشفني، فعزمت على امتحانه، وخرجت في الليل إلى باب منزلي عريانا، واستغفرت الله تعالى، فلما أصبحت، غدوت إلى الشيخ أبي عبد الله بن الفخار، فلما رأيته أعرض عني، قال: فقلت له: إيش جرى؟ قال: تخرج إلى باب منزلك عريانا؟ قال: فاستغفرت الله تعالى، وقلت: لا أعود. قال: فقال لي: لولا الأدب مع الشرع، لأخبرت ما يصنع الإنسان على فراشه؟»².

وذكر الشيخ تقي الدين الفاسي أيضاً قصة حكاها له الشيخ خليل عن شيخ رباط الموفق، الشيخ محمد بن موسى الغماري حيث قال: «ومن أخباره الجميلة: ما بلغني عن صاحبنا الشيخ خليل بن هارون الجزائري، الآتي ذكره، أنّ الغماري هذا، أصابته فاقة بمكة، فخرج بعد ذلك إلى الطواف بالكعبة المشرفة، فلما كان بالمطاف، إذا هو يراه مملوءاً ذهباً وفضة، فغاصت رجله فيه إلى فوق قدمه، فقال لها -يعني الدنيا: تغريني، تغريني، هكذا؟ ولم يتناول من ذلك شيئاً»³.

3. كتاب "تذكرة الأعداد ليوم المعاد":

يعتبر هذا الكتاب من الكتب التي ألفها الشيخ خليل بن هارون في آخر حياته، وقد قال عنه ابن فهد الهاشمي أنّه كتابٌ في الأذكار والدعوات، وهو كثير الفوائد في مجلد ضخم بخطّه، وفي مجلدين بخطّ غيره، واختصره في مجلد⁴، وقال عنه السخاوي إنّ كتاب جليل الحسن كثير الفوائد⁵.

¹ - ابن حجر، نفسه، 19/3-20.

² - تقي الدين الفاسي، نفسه، 384/2.

³ - المرجع نفسه، 414/2.

⁴ - ابن فهد، نفسه، 722/2.

1.3 وصف النسخة المخطوطة:

في الواقع لم أقف إلا على الجزء الثاني من هذا الكتاب المخطوط، وهو محفوظ بمكتبة شستريت في مدينة دبلن الأيرلندية، تحت رقم 3236، عدد أوراقه 171، بمسطرة قدرها 27 سطرا، مكتوب بخط نسخي واضح، خطه الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي¹، وأكمل نسخه في يوم الخميس الخامس عشر من المحرم من سنة 856هـ، أي بعد 30 سنة من وفاة الشيخ خليل بن هارون.

وقد وُجدَ في هذا الجزء بياض في بعض الصفحات بمقدار نصف صفحة تارة²، وبمقدار سطرين تارة أخرى³، وقد قال الناسخ إنّه نسخ هذا الجزء من نسخة عليها خط المؤلف. أمّا عن تاريخ التأليف فالراجح أنّه بعد سنة 817هـ، لأنّه ذكر هذا التاريخ داخل كتابه فقال: «كتبْتُ كما وجدتُ يوم الاثنين لخمس بقين من شهر المحرم سنة 817هـ، برباط الموفق رحمنا الله وإياه»⁴.

2.3 نسبة الكتاب للشيخ خليل بن هارون:

نسبة كتاب «تذكرة الأعداد ليوم المعاد» للشيخ خليل بن هارون لا ريب فيها، وقد كفانا مؤنة التوثيق الشيخان عمر بن محمد ابن فهد وشمس الدين السخاوي، حيث كانا أكثر رجلين ترجم للشيخ خليل بن هارون الجزائري، وقد دُكر اسم المؤلف رحمه الله عدّة مرّات في الكتاب هكذا: "قال خليل بن هارون".

⁵ _السخاوي، نفسه، 206/3.

¹ _هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، أبو بكر، الهاشمي، المكي. ولد بمكة وأخذ عن علمائها. كان مشهورا بسرعة النسخ، حيث نسخ "شرح صحيح البخاري" لابن حجر مرتين، و"مختصره" لأبي الفتح المراغي، و"شرح ابن ماجه" للدميري، و"تفسير القرآن" لابن كثير، و"تاريخ ابن الأثير والياضي"، و"تاريخ تقي الدين الفاسي"، و"شرح المنهاج" للدميري مرتين، و"شرح المنهاج" لأبي الفتح المراغي. توفي سنة 890هـ (ينظر: ابن فهد، نفسه، 454/1-553).

² _مثلا: ق 53/ظ وق 139/ب.

³ _مثلا: ق 134/ب وق 153/ظ وق 165/ب.

⁴ _خليل بن هارون، نفسه، ق 62/ظ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض من ذكر عنوان الكتاب من محققي التراث، كان يكتب "الإعداد" بدل "الأعداد"، لموافقة المعنى¹، لكنّ مراد المؤلف كان كلمة "الأعداد"، وقد صرّح بذلك في آخر كتابه حيث قال إنّهُ ابتداءً كتابه بسورة الإخلاص وما جاء فيها ثمّ ختم بها، في إشارة إلى بداية الكتاب وانتهائه بالعدد واحد، ثم استشهد بقول القائل²:

أَرَى الْأَعْدَادَ رَاجِعَةً وَإِنْ كَثُرَتْ إِلَى الْأَحَدِ
كَذَاكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ³

3.3 موضوع الكتاب:

موضوع الكتاب يندرج ضمن الأذكار والدعوات، وقد نحا الشيخ خليل بن إبراهيم منحى مغايراً في هذا الموضوع، حيث ارتكز كتابه على ذكر الأذكار والأدعية وربطها بالأعداد، فهو يدلّل على دور العدد في مقدار الذكر أو الدعاء، ويحتجّ لنفسه ببعض الأحاديث النبوية أو آثار الصحابة، أو أقوال العلماء ومجرباتهم في الأدعية ومدى دفعها للضرّ والهّم وغيرهما.

ومن خلال تصفّحي لهذا الجزء لم أجد أنّ المؤلف قد تقيّد بأبواب على ترتيب معيّن، بل يضع عنواناً لكل موضوع يبدأ بكلمة "ما جاء" مثل: ما جاء في فضل لا إله إلا الله، وما جاء فيمن رأى سبعة من الأولياء، وما جاء بها سبعة أشياء يكمل بها المريد وحكمته، وما جاء أنّ الخلق سبعة أشياء، وما جاء في سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد، وما جاء أنّ مكة محفوفة بسبعة أملاك، وما جاء في سبع حصيات، وما جاء فيمن تعوّد كل يوم سبع مرات، وما جاء فيمن صلى اثنتي عشرة ركعة على صفة وقراءة ودعا بدعاء معيّن استجيب له، وما جاء فيمن مكث في البرية اثنتي عشرة سنة توكلّا وصلى تحت كلّ ميل ألف ركعة، وما جاء في فضل من أدّن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وما جاء في فضائل رجب وشعبان، وما جاء في الذكر وفضائله، ما جاء في كلام القبر، وما جاء في "سبعة آلاف"، وما جاء في "ثمانون ألفاً" وغيرها من العناوين.

¹ على سبيل المثال: خير الدين الزركلي، 2002م، 323/2، ابن فهد، نفسه، 722/2، السخاوي، 1993م، 323/1.

² خليل بن هارون، نفسه، ق 171/ظ.

³ القائل هو الحسين بن محمد التجيبي القرطبي (ت 654هـ) (ينظر: ياقوت الحموي، 1993م، 1148/3).

4.3 مصادر الكتاب:

تنوّعت مصادر الكتاب، لكن كان أغلبها يندرج ضمن الكتب التي تتحدّث عن الأذكار والأدعية وكلام الأولياء والزهاد، وقد كان يكثر النقل من كتب أبي حامد الغزالي خاصة «إحياء علوم الدين» و«الأربعين في أصول الدين»، وينقل من كتب الشيخ أبي طالب المكي، والشيخ الغافقي، وكتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي، ومن كلام ابن أسد المحاسبي، وينقل أيضا من كلام أحمد بن علوان.

وقد أكثر الشيخ خليل بن هارون النقل من كتب والد زوجته الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ومن ذلك كتابه «المفاخرة» وكتابه «الرياض الزاهرة للأجزاء العشرة»، وكان ينقل أيضا من كلام الشيخ كمال الدين الدميري (ت 808هـ)، ويؤكد دائما أنّه ينقل من خطّه بقوله: "ونقلت من الدميري بخطّه"¹، و"نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله ما صورته..."²، في دلالة على صدق نقله من الشيخ الدميري، أو لندرة ما كان ينقله من خطّه.

5.3 بعض أقوال وآراء الشيخ خليل بن هارون:

في الأدعية والأذكار:

- كان الشيخ خليل بن هارون مهتمًا جدًا بجمع الأدعية والأذكار التي كان لها أثر —على حدّ قوله— في تفريج الكرب أو قضاء الحوائج، وقد انتخب بعضا من أقواله دون ذكر الأدعية، حيث قال:
- وحفظت هذه الأسماء كلّها من بعض الفضلاء بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم: الجبار القهار، القادر المقتدر، القوي المتين، الضار المقيت، الباعث الشهيد، اكفني شرّ من يؤذيني³.
- قال لي سيدي مفلح: من دعا بهنّ في نفس واحد إنّ الله يجيبه إن شاء الله تعالى⁴.
- وجدت بخطّ بعض الفقهاء ما صورته: ومن قرأ بعد صلاة الصبح ﴿قل هو الله أحد﴾ إحدى وعشرين مرة لم يفتقر أبدا، وقد جرّب وصحّ⁵.

¹ - خليل بن هارون، نفسه، ق 9/ب.

² - المرجع نفسه، ق 11/ب.

³ - المرجع نفسه، ق 9/ظ.

⁴ - المرجع نفسه، ق 19/ظ.

- وجدتُ بخطَّ محب الدين الطبري المكي أذكارا فاضلة¹.
- وجدتُ في بعض التعاليق: ومن قال عند منامه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة عصمه الله تعالى في ليله ونهاره، ولم يصبه فقر أبدا، وغرس له في الجنة ألف ألف شجرة².
- ومَّا يقال يوم عرفة أيضا ما أملاه عَلَيَّ بمكة الشيخ الصالح إبراهيم ابن الشيخ الصالح أبي بكر الموصلِي رحمهما الله أملاه عَلَيَّ باختصار واقتصار بمكة³.
- وهذه وصية الشيخ الصالح ولي الله عز وجل سيدي أبي عبد الله محمد المشهور بالظريف ببلد تونس وكان من أكابر الأولياء رحمه الله تعالى⁴.
- أوصاني الشيخ الصالح الولي العارف مفلح بن ثابت بن هلال بن سعدون بن أبي جميل المغروي من بلاد المغرب، وكانت له رضي الله عنه كرامات ظاهرة⁵.
- أخبرني بعض أهل الحديث بمكة -وهو الشيخ زين الدين الطبري رحمه الله- أنَّ الشيخ المحدث المعروف بمكة، شمس الدين ابن شكر، أخبره أنَّ من كان في همٍّ وضرورة وقرأ آية الكرسي أربعمائة مرة قضيت حاجته... قال الذي أخبرني بذلك: كانت لي ضرورة ففعلت ذلك فقضيت حاجتي⁶.
- فينبغي على هذا أن يقدم الذكر الحمد لله والثناء على الله عزَّ وجلَّ بما هو أهله، والصلاة على رسوله صلَّى الله عليه وسلم ويستغفر الله تعالى ويتوب إليه ألف مرة ويسأله القبول سبحانه وتعالى ثم يشرع في الذكر، جعله الله تعالى من الذاكرين الله كثيرا⁷.

⁵ _ المرجع نفسه، ق 78/ظ.

¹ _ المرجع نفسه، ق 97/ظ.

² _ المرجع نفسه، ق 118/ظ.

³ _ المرجع نفسه، ق 129/ب.

⁴ _ المرجع نفسه، ق 142/ب.

⁵ _ المرجع نفسه، ق 149/ظ.

⁶ _ المرجع نفسه، ق 148/ب، 149/ظ.

⁷ _ المرجع نفسه، ق 150/ب، 151/ظ.

- أوصاني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن عمر القرمي رحمه الله أن أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة ألف مرة. قال: فإذا فرغت منها فقل: اللهم وقّني لمتابعة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه، وقال لي: وتراه أيضا وتراه¹.

- وقد اجتمع في مكة برجل من أبناء العجم كان والده مشهورا بالصلاح والبركة في بلادهم يعرف بصدر الدين الأردبيلي، وأخبرني أنّ وردّ أبيه كان كل يوم تسعين ألفا من أذكار متبوعة².

- قال لي سيدي مفلح: من دعا بهنّ في نفس واحد إنّ الله يجيبه إن شاء الله تعالى³.

في العقيدة والفقه والحديث:

- تأويل الصفات:

ذكر الشيخ خليل بن هارون كلاما لأبي طالب المكيّ يذكر فيها كلمات وقال «إنّ من قالهن مائة يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله تعالى من فوق عرشه: قد أرضيتني وعليّ رضاك، سلمي ما شئت أعطيك»، فقال الشيخ خليل: يُقال في معنى هذا الحديث ما قيل في قول زينب رضي الله عنها: زوّجكنّ أهلوكنّ، وزوّجني الله تعالى من فوق سبعة أرقعة، وما قيل: «ينزل كلّ ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من سائل؟» الحديث، والظاهر محالّ، فلا بدّ من حمله على ما يليق به أمره، أو يأمر ملكا⁴.

- مسألة التوبة من معصية ترك الصلاة:

نقل الشيخ خليل بن هارون عن الدميري قولاً للنسفي يقضي بتكفير معصية ترك الصلاة بالدعاء والاستغفار، فتعقّبه بالشرح على أصول المذهب المالكي الذي يقضي بقضاء الصلاة الفاتية مهما كان عددها حيث قال: «هكذا نقل الدميري رحمه الله عن النسفي ولم يزد على هذا شيئا، وهذا التكفير والله أعلم يقع على عصيانه بترك الصلاة وإخراجه لها عن وقتها، وأمّا الصلاة الفاتية فلا بدّ من قضائها والتوبة،

¹ _ المرجع نفسه، ق 158/ب.

² _ المرجع نفسه، ق 166/ظ وب.

³ _ المرجع نفسه، ق 19/ظ.

⁴ _ المرجع نفسه، ق 130/ب.

وهذه الأعمال الصالحة المرجو من الله تعالى بها أن تكفر معصيته بإخراجها عن وقتها ولا بدّ من القضاء، فإنّ شكّ أوقع أعدادا تحيط بحالات الشكوك وتكون أيضا هذه الصلاة -إن صحّت- مكفّرة لما عجز عن قضائه لموت أو مرض أو ما يشبهه، والله أعلم»¹.

- مسألة حديث الرغائب:

ذكر الشيخ خليل بن هارون ما جاء في حديث الرغائب والنصف من شعبان، وذكر قول الشيخ محب الدين الطبري، ثمّ ناقش ابن الجوزي حول حكمه على الحديث بالوضع، وأنّ حكمه بجانب للصواب، فقال: «ذكرتُ هنالك ما قاله الشيخ محب الدين الطبري فيما يتعلّق بحديث الرغائب والنصف من شعبان، وأنّ ما ذكر ابن الجوزي من وضعها لم يره الشيخ محب الدين رحمه الله تعالى متعلّقا، فإنّ اشتراط الصحة إنّما يكون في أحاديث الأحكام وصفات ذي الجلال والإكرام، وأنّ جماعة من العلماء رضي الله عنهم نقلوها».

ثمّ قال الشيخ خليل بن هارون بعدها: «ولعلّ الوجه الذي لم يره الشيخ محب الدين من كلام ابن الجوزي مقتضيا للوضع هو الذي رآه ممّن تقدّم من العلماء الناقلين لها، ولا يخفى عليهم مثل ذلك، ولو رأوه مقتضيا لحرّم عليهم نقله إلّا مع بيان وضعه، وهذا قريب مما قاله الطبري رحمه الله تعالى»².

4. خاتمة:

كانت هذه الورقة البحثية محاولة لكتابة جديدة في سيرة الشيخ خليل بن هارون الصنهاجي الجزائري، وذلك من خلال استخدام ثنائية بين ما جاء في كتب التراجم، وبين ما ذكره الشيخ خليل بن هارون بنفسه في كتابه «تذكرة الأعداد ليوم المعاد»، وقد حاولتُ في هذه الورقة إبراز أهميّة الاعتماد على آثار العلماء في كتابة سيرهم وعدم الاقتصار على كتب التراجم التي هي في الغالب إحاطة بحياة كلّ عالم، ولا تغوص في بعض الأحيان في زوايا وجوانب مظلمة من الحياة الاجتماعية والثقافية للعلماء، ولا شكّ أنّ العالم هو وحده فقط الذي يستطيع أن يتكلّم عن نفسه باستفاضة، ولهذا فلا يسع الباحث إغفال ما كتبه

¹ _ المرجع نفسه، ق 126/ب.

² _ المرجع نفسه، ق 107/ب.

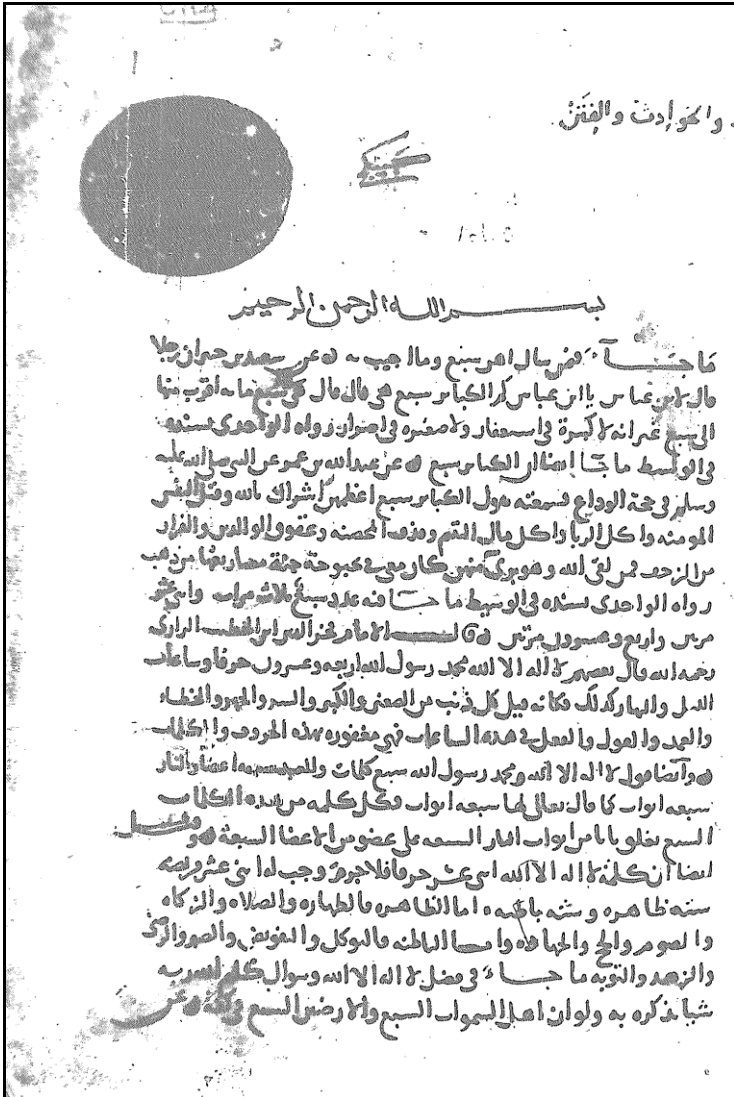
العلماء بأنفسهم والاقتصار على ما جاء في كتب التراجم، بل المزاوجة هي أفضل وسيلة لإخراج ترجمة وافية لكل عالم.

5. قائمة المراجع:

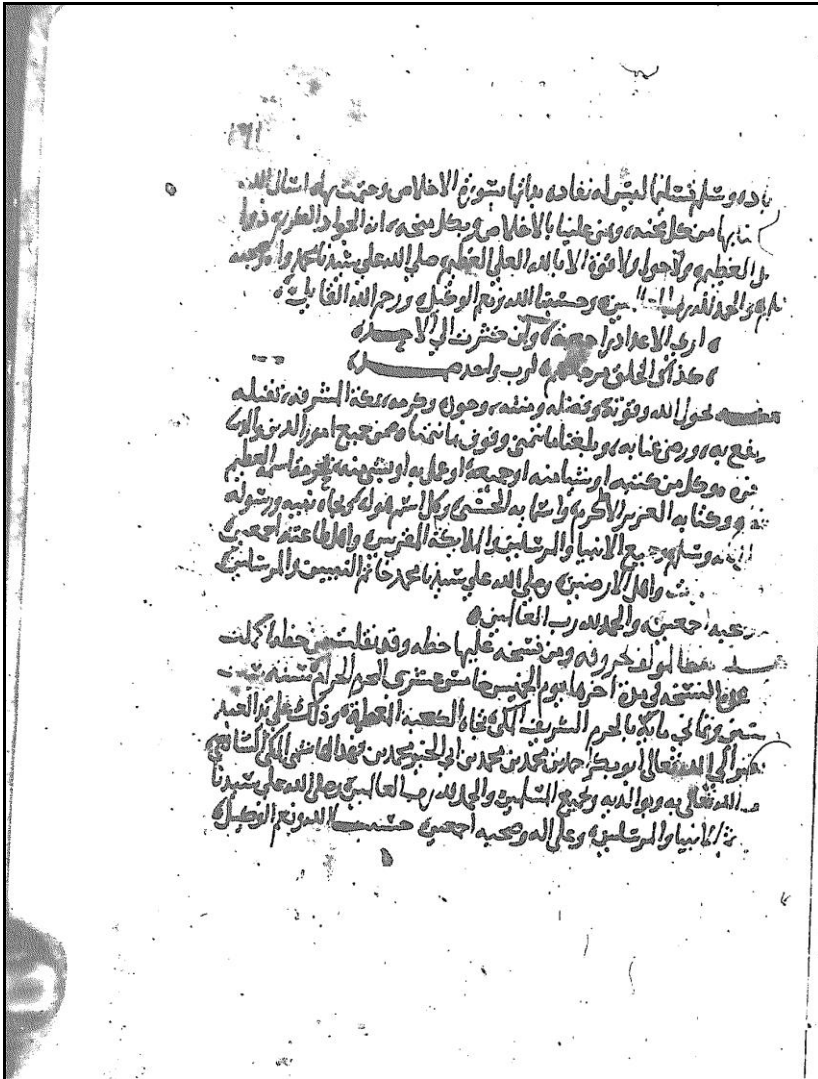
- لزعم، فوزية، 2017م، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عصر الشيخ محمد بن عمر الهواري (القرنين 8-9هـ/14-15م)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 13، العدد 1، صفحات 127-147.
- حساين، عبد الكريم، 2015م، الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، مجلة آفاق فكرية، المجلد 3، العدد 1، صفحات 118-130.
- السخاوي، شمس الدين، بدون تاريخ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان.
- العسقلاني، ابن حجر، 1994م، المجموع المؤسس للمعجم المفهرس، دار المعرفة، لبنان.
- ابن فهد، عمر، 2000م، الدر الكمين بذيّل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دار خضر للنشر والتوزيع، لبنان.
- ابن هارون، خليل، 856هـ، تذكرة الأعداد ليوم المعاد، مخطوط بمكتبة شستريتي، إيرلندا.
- الفاسي، تقي الدين، 1998م، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دار الكتب العلمية، لبنان.
- الفاسي، تقي الدين، 2000م، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، لبنان.
- المكناسي، ابن القاضي، 1971م، درة الحجال في أسماء الرجال، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس.
- الزركلي، خير الدين، 2002م، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان.
- الحموي، ياقوت، 1993م، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- الحلوجي، عبد الستار، 2011م، فهرس المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية (المجاميع)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

- البغدادي، إسماعيل، بدون تاريخ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

6. ملاحق:



الصفحة الأولى من الجزء الثاني لكتاب (تذكرة الأعداد ليوم المعاد)



الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني لكتاب (تذكرة الأعداد ليوم المعاد)